ملحق

تنوع المداخل النقدية
في كتاب
(استلاب الذات في السرد العربي المعاصر)

للدكتورة: كاميليا عبد الفتاح

تنوع المداخل النقدية

في كتاب

(استلاب الذات في السرد العربي المعاصر)

للدكتورة: كاميليا عبد الفتاح

شُـغلت المؤلفـة فـي هـذا الكتـاب بالـذات الإنسـانية، بجـوهر الإنسـان وصـراعه علـى الأرض مـن أجـل البقـاء، ومواجهـة القـوى التـي تجابهـه وتصـارعه بمـا فيهـا القوى الميتافيزيقية، الزمان والمكان وحتمية الموت.

اهـتم الكتـاب كمـا أوضـحت المقدمـة بالـذات الإنسـانية المحاصـرة بـين وجودهـا المـادي المتنـاهي وأشـواقها الروحيـة اللامتناهيـة التـي تحرضـها تحريضًـا علـى التحرر من أسر الحتمية. (ص7)

والفصـول العشـر لهـذا الكتـاب هـي فـي الواقـع أبحـاث نقديـة قـدمتها المؤلفـة فـي محافـل ومـؤتمرات عـدة ضـمن مـا قـدمت فـي حياتهـا البحثيـة والأكاديميـة الطويلـة، فمـا الـذي جعلهـا تختـار هـذه البحـوث لتضـمها فـي كتـاب واحـد يجمعـه عنـوان استلاب الذات؟

هنـا يقـف المـنهج العلمـي الرصـين الـذي يـدفع الناقـد إلـى حسـن اختيـار الأبحاث التي يضمها كتاب واحد.

وأول المناهج النقدية التي تطالعنا في هذا الكتاب هو الموضوعاتية.

(وهو اتجاه يتعامل مع النص الأدبي شعرًا أو نثرًا بهدف استقراء (التيمات) الرئيسية الموجودة في النصوص الإبداعية للوقوف على دلالات تكرارها المتواتر من أجل الوصول إلى فهم أكثر عمقًا ووعيًا.)[1]

وتقوم النظرة الموضوعاتية للنص الأدبي أو مجموعة النصوص على استخلاص الفكرة العامة أو الدلالة المهيمنة التي تسيطر على العمل الأدبي أو مجموعة الأعمال من خلال النسق رصد النسق البنيوي وشبكاته التعبيرية بحثًا عما يجمع شتات النصّ في لُحمة هارمونية منسجمة متسقة.

ولا يتم ذلك إلا بالقراءة المتأنية للنصوص الأدبية وهذا ما فعلته المؤلفة فقد اهتمت برصد الأجناس الأدبية للنصوص ومرجعيتها التناصية والفكرية وفحصت لغتها وأسلوبها بما تحويه من حقول دلالية منبثقة من الكلمات والعبارات والصور البلاغية المتكررة في النصوص اضطرادًا أو تواترًا، فقد رصدت د.كاميليا مفاتيح النصوص وعلاماتها اللغوية ورموزها الموحية، كل ذلك من خلال السياقات النصية والمعنوية داخل النص الأدبي للكشف عن تماسكه الباطن لإظهار الصلات السرّية بين عناصره المبعثرة[2].(2)

---

[1]- الموضوعاتية في نقد الرواية المعاصرة. أ. د سحر حسين شريف. فكر وإبداع، يناير 2015م ص 5.

[2]- سعيد علوش- النقد الموضوعاتي- بابل للطباعة الرباط طبعة 1989 ص 105 وما بعدها.

وهكذا جمعت تيمة استلاب الذات بين الأبحاث العشر، ففي الفصل الأول (التعالق بين الحب والكهف والبعث) تجلت هذه التيمة واضحة في تحليل المؤلفة للشخوص حيث تقول: (هكذا يفجر التباين في الإحساس بالزمن المزيد من تأزم العقل الدرامي والمزيد من فجوة الاغتراب والتصدع بين الشخصيات الثلاثة).

وفي البحث الثاني (ما بعد الامازونيات، إبداع المرأة بين المواجهة والاستلاب)

تقول المؤلفة: (لا تزال المرأة تعاني من الضدية في التلقي الاجتماعي على الصعيد الفكري والشعوري، لا تزال تكابد النظرة المشوبة بالتوجس ولا زالت اعتباريتها متشيئة تابعة) الكتاب ص 59

وفي البحث الثالث (الشعر وعي العالم وخلاصه الإنساني – قراءة نقدية لكتاب (الشاعر والطفل والحجر للشاعر فتحي عبد السميع).

تتعرض المؤلفة لمفهوم المسخ بوصفه صورة من صور استلاب الذات، فتقول: (يطرح الكاتب المفهوم التقليدي للمسخ الذي يعكس جوانب الظَلَمة في النفس الإنسانية، جاعلًا منها محك القياس لأنماط كثيرة الأمساخ التي واجهته في تجربته الإنسانية) ص 106

وفي دراسة الدكتورة كاميليا عن (روح الكتابة) لمنير عتيبة، وهو البحث الرابع، تقول:

إن الذات الإنسانية في الرؤية الفكرية التي يطرحها منير عتيبة ذات عاجزة عن ارتياد منابع الحياة، الحب الأمومة والأبوة، الصداقة، التواؤم مع الآخرين. ص 138.

وفي البحث الخامس عن مجموعة الكاتب الإماراتي محسن سليمان (كائن كالظل)، تحدثت عن مشاعر التنافر والغربة الموجودة في المكان الحاوي للموت والحياة ومواجهة الإنسان لقدره الغامض.

وفي البحث السادس، (التماهي والاستلاب بين الذات الفردية والذات الجمعية) عن رواية السيد حافظ (كل من عليها خان)، رصدت الناقدة فعل الخيانة وكيف أن الوطن أرض الخرائب والخسائر الذي تعيش فيه الذوات المستلبة.

وفي الفصل السابع عن رواية السيد حافظ أيضًا، رواية (حتى يطمئن قلبي)، التعالق بين الوطن، الكتابة، العشق، دراسة نقدية حول اغتراب البطل الإشكالي ومرتكزات خلاصه.

قيم الاستلاب واضحة، الهزيمة والحيرة والاغتراب والقلق والحرية المفقودة داخل الوطن.

أما الفصل الثامن فهو بحث بعنوان (المرأة بين العنفوان والعنف، دراسة نقدية في مجموعة (غدير البنات) للسعودي إبراهيم الناصر الحميدان، وفيه أكدت الناقدة قيم الاستلاب التي ترزح تحتها المرأة العربية المقهورة تحت وطأة الحب المهزوم المكبوت والعنف المادي والمعنوي.

وفي الفصل الأخير عن رواية الكاتبة منى الشيمي (بحجم حبة العنب)، رصدت الناقدة قيم الموت في مذابح صابرا وشاتيلا واستلاب الذات من مختلف الوجوه، والمستويات عبر الرواية السير ذاتية وتوغلها في نفوس الشخوص بالوقوف على تيار اللاوعي.

كشفت الناقدة كيف أن الشخوص امتداد لذات الوطن المستلبة وهزائمه وافتقاره للعدالة والحرية.

ومن المناهج التي استخدمتها الناقدة الدكتورة كاميليا عبد الفتاح، البنيوية.

يعني المنهج البنيوي بالنص من الداخل، ويرى أن الفن الروائي شيء قائم بذاته، عالم مستقل بنفسه وليس وسيلة إلى أغراض أخرى مهما كانت أهميتها، فهو عالم يخلق قوانينه من داخله ولا يستمدها من قوالب مسبقة ولا من حقائق ثابتة في المجتمع[1].(3)

والسرديات البنيوية هي تحليل مكونات الحكي وآلياته، هذا الحكي الذي يمثل حكاية منقولة بفعل سردي، وفيه يدرس الناقد مكونات السرد وهي: الراوي والمروي (المتن الحكائي) والمروي له.

لقد تسلحت الناقدة د. كاميليا بدراستها للسانيات واستثمرت مستوياتها المنهجية كالمستوى الصوتي والصرفي والدلالي والتركيبي والبلاغي، واهتمت بالمقاطع والمتواليات السردية ورصدت وظائفها الأساسية والثانوية ومؤشراتها الفضائية، واهتمت بالمنظور السردي، زاوية الرؤية وتحديد وظائف السارد

[1]- كرومي حسن – حول بعض المفاهيم في الرواية الجديدة – مجلة تجليات الحداثة عدد 3 يونيو 1994م.

ورصد بنية التواتر، وركزت في أبحاثها على زمن السرد ودراسة المكان وتجلياته حتى في تعاملها مع النص المسرحي ركزت على تقطيعه إلى متواليات مشهديه أو لوحات درامية محددة الوظائف المسرحية، راصدة البنى الفضائية للنص المسرحي في ضوء قواعد الدراما.

واتضح هذا النهج بخاصة في تناول الدكتورة كاميليا عبد الفتاح لمجموعة (روح الحكاية) لمنير عتيبة، ومجموعة (كائن كالظل) للإماراتي محسن سليمان حيث درست الفضاء السردي، ودراستها للسارد العليم في رواية منى الشيمي (بحجم حبة العنب).

ومن المناهج التي استخدمتها الناقدة المنهج السيميوطيقي التأويلي، وهو عبارة عن مقاربة النصوص الأدبية مقاربة علمية موضوعية نصيًا، وهذا الاتجاه المنسوب لبول ريكور، يتأرجح بين السيموطيقا (علم العلامات) وعلم الدلالة والفلسفة والهرمونوطيقا (التأويل).

والسبب في ذلك ان الرمز المتعدد الدلالات والإيحاءات ويتخذ أبعادًا تأويلية استكشافية تنتقل من الظاهر إلى الباطن، ومن السطح إلى العمق.

وهذا ما فعلته الناقدة في بعض الأبحاث في كتابها، حيث قرأت النصوص الأدبية قراءة ذاتية وأدركت أن النص الأدبي بعلاماته ورموزه ينقل عبر استعارته ولغته ومخيلة العالم الخارجي أو المعطي الواقعي المادي، ثم أولت وفسرت لتخرج بنتائج صارمة.

لقد استخدمت الناقدة السيميوطيقا التأويلية عند ريكور لتوفق الطرح التأويلي التفسيري الذي يقيم التجربة الإنسانية.

وفي تجليات هذا، تهتم الناقدة اهتمامًا شديدًا بدراسة العتبات والعناوين.

تقول في دراستها عن منى الشيمي:

(أتلقى العنوان دائمًا باعتباره جزءًا من النص وجملة من بنائه اللغوي؛ فهو شريك في دلالاته... العنوان في رؤيتي جزء من النص آثر أن يستقبل المتلقي منفردًا... هو شبكة دلالية يُفتح بها النص ويؤسس لنقطة الانطلاق الطبيعية فيه...) الكتاب ص 244- 245.

وفي دراستها لمجموعة روح الحكاية؛ توقفت عند العنوان، الغلاف والاهداء، وخرجت بتأويلات ثرية عميقة.

وكذلك في مجموعة (كائن كالظل)، حللت سيميائية العنوان انطلاقًا من فهمها للنحو وعلم الدلالة.

وهكذا يكون التأويل في أدق معانيه، تحديد المعاني اللغوة في النص من خلال التحليل وإعادة صياغة المفردات والتراكيب لتوضيح مرامي العمل الفني.

ومن المناهج التي استخدمتها الناقدة، النقد الثقافي، والأنساق الثقافية.

وهذا النوع من النقد يدرس الأدب فنيًا وجماليًا بوصفه ظاهرة ثقافية مضمرة، أي يربط الأدب بسياقه الثقافي غير المعلن، حيث يتم التعامل مع النصوص بكونها انعكاسًا لسياقات ثقافية وأخلاقية، فالأدب إذن نسق ثقافي يؤدي وظيفة نسقية تضمر أكثر مما تعلن.

ويفيد هذا النوع من النقد في حقول معرفية عدة كالفلسفة والبلاغة والأدب والنقد والتاريخ، وينفتح أيضًا على مجموعة مناهج نقدية كالبنيوية والسيميائية

والتفكيكيـــة والنقـــد النســـوي والماركســـية الجديـــدة والنقـــد الجنوســـي، ويركـــز علـــى ثقافات المجتمع المختلفة بدراسة نظمه وقيمه وعاداته وتقاليده.

ولقـد تجلـى هضـم الـدكتورة كاميليـا لكـل مـا سـبق ووعيهـا المـدرك لمتطلبـات النقـد الثقـافي الـذي يسـتند إلـى الدلالـة المباشـرة الحرفيـة للـنص والدلالـة الإيجائيـة المجازية الرمزية والدلالة الثقافية النسقية.

فمـــن الأبحـــاث/ الفصـــول التـــي انطلقـــت مـــن النقـــد الثقـــافي، (مـــا بعـــد الامازونيـــات– إبـــداع المـــرأة بـــين المواجهـــة والاســـتلاب)، حيـــث ركـــزت د. كاميليـــا علـــى الســـيرة الذاتيـــة لمـــي زيـــادة وفـــدوى طوقـــان ونـــوال الســـعداوي وعائشـــة عبـــد الرحمن.

وحرصت على تحديد أبرز المحاور الموضوعية للسير وهي:

- تأزم وضعية الذات الأنثوية في المجتمع العربي.
- تـــأزم وضـــعية المجتمـــع العربـــي والأنظمـــة العربيـــة فـــي ظـــل اســـتبداد الاحتلال الأجنبي.
- ألوان القهر الذكوري للذات الأنثوية.
- ألـــوان القهـــر السياســـي، إشـــكالية اغتـــراب الـــذات الأنثويـــة ومســـارات الخلاص، الحب، الإبداع، الفن.

الكتاب ص 66، ص67

وكـذلك فـي بحثهـا عـن (المـرأة بـين العنفـوان والعنـف– دراسـة نقديـة فـي المجموعـة القصصـية (غـدير البنـات) للسـعودي إبـراهيم الناصـر الحميـدان، رصـدت الناقـدة قهـر المـرأة وتأزمهـا بـين القهـر وحلـم الحريـة، وتأرجحهـا بـين القـوة

والعنفوان، أنثويًا وجسديًا وروحيًا ونفسيًا، وبين العنف الواقع عليها من المجتمع والسطوة الذكورية الممثلة في الأب والزوج والأخ.

ومن المناهج التي اتبعتها الناقدة، المنهج التاريخي في بحثها النظري الوحيد بالكتاب عن المؤثرات الاجتماعية في الأدب– مدخل إلى النظرية.

وفيه تتبعت علاقة الأدب بالمجتمع تتبعًا تاريخيًا، بداية بالطرح النقدي الماركسي مرورًا بالايديولوجيا ونظرية الانعكاس وعلم اجتماع الأدب، وأثر العوامل الاجتماعية في مدارس الشعر الربي واتجاهاته الحديثة.

وبعد، إن الكتاب يحمل أمارات النقد الاكاديمي المنهجي العلمي، بدءًا بالحرص على اختيار العناوين الدلالية الشارحة الكاشفة لمحتوى الورقة النقدية، وحرص الناقدة على تأصيل المصطلحات المستخدمة في الدراسات والتنظيم الواضح للورقة النقدية التي تبدأ بطرح الإشكالية ومناقشة المحاور نقطة بنقطة باستخدام الدليل العلمي المنهجي المتكئ على النص الأدبي، والرجوع إلى المصادر والمراجع الأصلية التي تكشف وعيًا واستنارة وعلمًا.

كذلك الخروج بنتائج منهجية متأنية في نهاية كل بحث لتبلور رؤية وفلسفة عميقة للناقدة التي تتمتع برؤية ثاقبة.